صدى الحرية / العدد 72 / الجمعة 8 / اب / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

مدرسة الصمود.. داريـــــا

إصلاحات في المدينة..

المعركة الفاصلة ..

نازحون بلا أخلاق..!

نصر الله والمتاجرة الخاسرة

كفى يا شيخ معاذ

سيافـ قدسيا .. أبو محمود

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

إصلاحات في المدينة... بين العدل والظلم

تتباين الآراء والرؤى تختلف، بل تتعارض المصالح في كثيرٍ من الأحيان، وتتولد بناءً على ذلك مشكلاتٌ جانبية، وهو أمرٌ طبيعي وصحي إذا لم يتجاوز حد التعبير عن الرأي والرأي المعاكس، وأي حدثٍ لا بد أن يحمل في طياته شقين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، وهذان الاتجاهان يمكن أن ينمو أحدهما على حساب الآخر إن لم نستطع تفاديه ببدائل، أو ما لم نحسن التعامل معه، والأخذ بعين الاعتبار التوفيق بين مصلحتين، ولعلنا اليوم نقف أمام إجراءٍ تم اتخاذه في المدينة، هو إزالة الأكشاك الممتدة من ساحة الأمل وحتى نزلة الأحداث، والتي صارت في بعض الأحيان مثار جدل، ولنبدأ بالجانب الايجابي حيث قيل أنه من باب إعادة التنظيم لطرقات المدينة، بعد أن غدت الأرصفة مكاناً للباعة أصحاب (البسطات)، ما ساهم في إعاقة مرور الناس والسيارات وهي خطوة سبق أن اتخذت لكن حال دونها في ذلك الوقت (المحسوبيات)، ولعلها في هذه المرة طالت الجميع دون استثناء، وهي كما أسلفنا خطوة إيجابية، أعادت للمدينة صورة حضارية بشكلٍ ما إذ لا يزال هناك الكثير لترجع تلك الصورة كما كانت.

الجانب السلبي في الأمر لا بد من التنويه عنه، ووضعه في إطاره الصحيح من قبل القائمين على العمل أو المعنيين بالموضوع، وهو يتمثل في مشكلة أصحاب هذه البسطات الذين لم يستطع البعض منهم إيجاد البديل وفقد هؤلاء مصدر رزقهم، نحن لا ننكر وجود بديل تم تحديده بالقرب من من المدرسة الإعدادية للبنات / سوق قدسيا التجاري /، الذي من المفترض أن تكون تكلفة إيجاره ثابتة وبما يحقق الإنصاف ومراعاة الظروف المعيشية.

بكل تأكيد الاعتراضات تندرج تحت صنفين: فهي إما من باب الاستشعار بالظلم، وإما من باب التعنت والرفض ليس إلا. وهذه الأخيرة مرفوضة، بالمقابل من حق من يستشعرون بالظلم أن يسألوا أين نحن ذاهبون؟ وما هو مصير أرزاقنا؟ علماً أن ما غاب عن البعض هو إمكانية العودة لمزاولة عمله في أي مكانٍ فرعي من شوارع المدينة.

نحاول هنا إنصاف الفكرة وتنفيذها و على نفس المسار نهتم برفع الظلم عن الناس، إذ إن أي عملٍ من شأنه أن يلامس حياة الناس في ظل هذه الظروف يحتاج لعناية شديدة، وترو لإيجاد البديل الذي يضمن مصلحة الجميع، بحيث تزال العوائق من الدرب. خطوةٌ نؤيدها ضمن الإطار العادل الذي يرعى مصلحة الناس والمدينة، ويحقق المساواة، ويعطي للمجتمع صورة مثالية على الأقل تحت هذه الظروف، وندعو لمناقشة مشكلة الباعة هؤلاء والبت سريعاً بشكواهم المتصل بالموضوع وحسمه .

الجدير بالذكر أن بعض الأكشاك بالقرب من مقسم الهاتف لا تزال قائمة، ولنا أن نسأل عن سبب بقائها؟ وإلى متى؟المدينة تنتظر خطوات أخرى في أصعدة ومجالات آن الأوان لحلها قبل تفشيها ونموها، لاسيما مسألة بائعي الخبز، ومراقبة الأسعار، لعلها تتحول فتصبح من مجرد حالة آنية تشابه ردات الأفعال إلى مشروعٍ متكامل عملياً وواقعياً ينصف الناس والمدينة على حدٍ سواء. له ما يحتاج من الوقت والخطة والقائمين على إدارته، وإدارة المدينة بالاتجاه الصحيح في الوقت نفسه يكمل ورقة العمل التي قدمت في الأسبوع الأخير من رمضان والتي اهتمت بمحاربة كافة صور وأشكال الفساد التي شوهت المدينة وأساءت للمجتمع، فهل تلقى هذه الفكرة دعماً وتفاعلاً؟ يتزامن هذا مع تراجع ملحوظ في عمل سيارات النظافة، الذين عزوا السبب لعدم توفر مادة المازوت.

نازحون بلا أخلاق..!

لأن معظم صراعاتنا وحروبنا لها جذورٌ قديمةٌ، ولأنها تخاض على أسس هوياتية عرقية أو دينية، فإن طابعها المميز هو العنف المفرط، ومحاولات الإلغاء المادي والمعنوي للآخر المختلف والمعادي. فتحاول الأكثريات إبادة الأقلية، وتسعى الأقلية للتطهير العرقي، ويتوسد الطرفان القتل والعنف لتحقيق أوهامهما. ومن الطبيعي، والحال كذلك، أن تنحدر تلك الحروب والنزاعات بمكانة الإنسان، وأن تُظهر أقسى المشاعر المعتملة داخل النفس البشرية، وأن تنتج بالتالي موجات متتالية من المبعدين والمنفيين والمهجرين.

حدث ذلك مع العرب في فلسطين، ومع الأكراد في العراق، ومع الأفغان، والصوماليين، والسوريين، ومع غيرهم، وعادةً ما تبقى ملفات اللاجئين والمهجرين متروكةً دون حل، فتبقى أسيرة تعنت طرف قوي رافض، وطرف مهزوم مكبل بضعفه عن معالجة الجوانب الإنسانية للصراع، ومجتمع دولي تتحكم إرادات الكبار ومصالحهم بقدراته على حل الأزمات ومعالجة آثار النزاعات، وبالتالي يُهمل الوضع ويأفل الاهتمام الإعلامي به، ويُنحى جانبًا حتى تتبدل الظروف أو تتغير الموازين.

والحرب في سوريا لم تشذ عن شيء من ذلك، فالنظام باعتباره طغمة سياسية، وبرؤيته لنفسه على أنه أقلية طائفية تسعى للدفاع عن وجودها، لجأ للقتل والاعتقال العشوائي كأدوات ردع وانتقام، ولتهجير البيئات المعادية كأداة تطهير سياسي ـ طائفيّ، وقد وصل عدد اللاجئين والمهجّرين السوريين منتصف العام 2014، إلى (9) ملايين شخص، أُجبر منهم (3.5) مليون شخص على مغادرة سوريا إلى المنافي، فيما يتوزع الباقون في الداخل كنازحين ينتقلون من مكان إلى آخر بشكل مستمر، يفتقرون للأموال وتغيب عنهم فرصٌ تيسرت لـ"ناشطي الثورة" للخروج، فيسعى الكثيرون منهم للهجرة بطرق خطرة وغير شرعية.

وقد أدى التهجير إلى تعميق حالة التفكك والاضطراب داخل المجتمع السوري بصورة فاقمت حالة اختلال نسيجه وتحلل روابطه، كما أدت إلى توترات أصابت المجتمعات المجاورة، ونتج عنها عدة آثار سلبية. فاللاجئون واللاجئات في الخارج يتم استغلالهم بصور وأشكال شتّى، ويعانون يوميًّا من مشاكل وصعوبات بسبب انكشافهم السياسي والقانوني كأفراد وجماعات –وخصوصًا الأطفال والنساء والمسنون– وغياب شبكات الحماية والدعم الاقتصادي والاجتماعي لهم، إضافةً لاختلاف نظم وعادات المجتمعات المضيفة، واختلاف أوضاعهم القانونية وطرق معاملتهم من بلد لآخر، وعجز المنظمات الدولية عن سدّ احتياجاتهم، وظهور منظمات الإغاثة السورية التي تحكم مؤسسيها السوريين الأجنداتُ السياسية الضيقة، فيما لا يعوز الكثير من شركائهم الأجانب المشاريع السياسية والاستخباراتية التي تسعى للتلاعب بالقضية السورية.

داخليًّا، يعاني النازحون بصورة أكبر؛ فإلى جانب معاناتهم من الموت والاعتقال، وتكرار تهجيرهم بصورة دورية مما يعرضهم لانعدام التوازن والاستقرار، ومعاناتهم من نقص المواد الأساسية والخدمات كالمواد الغذائية، والتعليم، والصحة، وغيرها... إلا أن هناك معاناةً أخرى لا يتم التطرق إليها، وهي ما يمكن تسميتها بـ"الغربة الداخلية" أو "الغربة الوطنية"، وهي معاناةٌ تتجه لتغدو ظاهرة اجتماعيةً عامةً ناتجةً عن اقتلاع منطقة كاملة بأهلها وسكانها، وبما يحملون من عادات وتقاليد وقيم، وبما اعتادوا ممارسته من سلوكيات، وإلقائهم في أكناف بيئة جديدة تختلف عنهم، وفي ظل غياب مؤسسات الحكم، وانتشار الفوضى، وتدهور الأوضاع النفسية العامة بسبب الحرب، واهتراء الروابط المجتمعية وافتقاد المرجعيات، ويحدث أن تقع حالات التصادم الاجتماعي، والثقافي، والسلوكي بين أبناء البيئات المضيفة، وضيوفهم النازحين.

ورغم أن استقبال النازحين يتسم في المراحل الأولى بالود والتعاطف، إلا أنه لا يلبث ومع امتداد مقام الضيوف إلى تحوله إلى حالة من التضاد والتنافر، فيظهر إلى السطح بدايةً على شكل تململ وضيق من وجود النازحين، ومن الكلفة المادية والإنسانية الناتجة عن استضافتهم، ثم لا يلبث الأمر أن يتحول إلى حالة من التباعد والعداء مع حدوث أول مخالفة سلوكية أو أخلاقية قد يأتي بها أحد النازحين، أو إحدى النازحات، ويتم عندها الحكم على الضيوف بأنهم يفتقدون عمومًا للتربية وللأخلاق السوية، وعليه تكون مهمة المضيفين لا سيما المسلحين منهم وهم يمثلون السلطة الواقعية، تأديبهم وإرشادهم إلى جادة الصواب، ومعاقبتهم إذا لزم الأمر –وهو غالبًا ما يلزم– وعادةً ما تبرر تلك "السياسة" بكيل الاتهامات بحق النازحين بأنهم

مخبرون وعملاء للنظام، وسوق المزاعم بأنهم فروا من مناطقهم بعدما سلموها للنظام. وواضحٌ ما تحتويه تلك ''السياسة'' من غياب للمنطق وانعدام للموضوعية باعتمادها على التعميمات الجاهزة والانطباعات الخاطئة والافتراضات المسبقة، وخضوعها للرواسب الاجتماعية البالية، وتأثرها بالأوضاع النفسية غير المستقرة، محمولةً بنزعات للسيطرة والتسلط على حياة الناس والتحكم بسلوكياتهم. وواضحٌ، أيضًا، مقدار الجهل والتخلف الذي تتخبط فيه مجتمعاتنا، فلا زالت تفكر وتتصرف بنفس عقلية النظام القائمة على الإقصاء والنفي للآخر، وعلى تجريده من قيمته ومن حقه في أن يكون مختلفاً، والحكم عليه بمصادرة مغايرته، ومصادرة حريته وأمواله أيضاً؛ فالأفراد يجب أن يكونوا نسخًا كربونيةً متطابقةً، وإلا لن يسهل السيطرة عليهم ولا التحكم فيهم، وهو ما سيشكل تهديداً للسلطة القائمة، أيّاً تكن هذه السلطة ومهما تكن مرجعيتها.

بالتأكيد، فإن النازحين ليسوا بذلك السوء، كما إن مضيفيهم ليسوا بتلك الطهرانية، ويحدث أن يرتكب بعض هؤلاء وبعض أولئك مخالفات أو تجاوزات أو جرائم، ليس هذا هو المهم، كما إن قمع المخالفات وملاحقة مرتكبيها –على ما فيها هي ذاتها من تجاوزات– ليس هو المهم أيضاً، بقدر ما هي الأسس الفكرية والاجتماعية التي ينطلق منها البعض للتعامل مع النازحين ووجودهم المؤقت في مناطقهم؛ فتلك هي القضية المهمة على ما نعتقد. إذ لا يبدو أن نظرتنا وتعاملنا مع الآخر استطاعت الخروج على السياق الذي كان سائداً، والذي يعتبر ''الغريب'' شخصاً سيّئاً، لا لشيء إلا لأنّه ''غريبٌ'' فقط، وباعتباره يوجد بعيداً عن مظلات حمايته الطبيعية العائلية، والمناطقية ما يُجيز التعالي عليه والتعرض له، وإهانته وتجريده من حقوقه وحرياته بالاتكاء على عصبية ''ابن البلد''، وكأننا لسنا مواطنين في بلد واحد، ولا أننا متساوون في الحقوق والواجبات، ولا عبرة لما نودي به من شعارات الحرية والعدالة والتمرد على الظلم، فلم يتجسد منها شيء في سلوكنا وهياكلنا المجتمعية الجديدة، وكل ما فعلناه لم يتعد الارتداد إلى الهويات الموروثة والسلوكيات الغرائزية، وتحكيم الهوى والمصالح الفردية في تعاملنا مع بعض، وتوسلنا العنف والسلاح لتنظيم أمورنا، وهو ما جعلنا نعتقد أننا نسمو فوق ''الغير''، ونجيز بالتالي تنصيب أنفسنا كسلطات محاسبة وتأديب، دون اعتماد مرجعيات حقيقية عامة مجردة، أو اتّباع وسائل شرعية، أو تحديد مدونات قانونية عادلة تنظم حياة الناس وتؤطر علاقاتهم.

وربما كان الأجدر بنا الاستفادة من الوجود الطارئ ''للغير'' بيننا لإعادة ترميم شيء من روابطنا، وإعادة تعريف مفاهيمنا عن الحرية، والعدالة، والكرامة، والمواطنة، ومحاولة تأسيس المجتمع واستعادة الوطن، وهو ما نحسب أن الثورة لم تقم إلا من أجله. مشكلة الثورة لم تكن يوماً عجزها عن إسقاط النظام سياسيّاً وأخلاقيّاً، بقدر عجزها عن ألا تنحدر هي أخلاقيّاً وألا تسقط في مسارها لتكون مثله.

كفى يا شيخ معاذ

أقفُ هنا أمامَ مبادرةٍ عجيبةٍ طلعَ علينا بها الشَّيخُ معاذ الخطيب جعلَ لها اسم (كفى) ويريد بها أنْ كَفَى قتلاً بين طرفي الصِّراعِ في سوريَّة، وأنا أبدأُ كلامي بقولي له: (كفى عبثاً يا شيخ معاذ)!! ولا أريدُ هنا أن أفصحَ للنَّاس عن تفصيلات ذلك العبث كلِّه، وما كنْتُ أظنُّ يوماً أنَّني سأكتبُ عن الشَّيخ معاذ بهذه اللهجة الشَّديدة مثلما سأكتبُ عنه الآن، ولا أريدُ أنْ أَكِيلَ له الاتِّهامَ بخيانة الثَّورة مثلَ كلِّ معارضةِ الخارجِ، فهذا لا يهمُّني الآنَ، لكنَّني سأقول: إنَّ ما تدعو إليه يا شيخ معاذ في هذه المبادرة الرومانسيَّة الحالمة يدلُّ على سذاجتكَ إنْ لم يُشِرْ إلى خيانتكَ، إنَّها كارثةٌ ستجرُّ على السوريِّين كلَّ بلاءٍ، لأنَّ إنجازَ (نصف ثورة) يعني عَوْدَتَنا جميعاً إلى ما تحتَ الصِّفرِ منَ الذُّلِّ، وليس إلى مرحلةِ الصِّفرِ منه .مَنْ الذي أقنعَكَ أنَّ هذا النِّظامَ الذي أحرقَ البلدَ كلَّها من أجل بقاء السُّلطة الأمنيَّة والجيش الأسديِّ الخائنِ ومن أجلِ بقاءِ بشَّار على رأس الدَّولة سيتخلَّى لكَ عن كلِّ ذلك في شكلِ حكومةِ معارضةٍ تافهةٍ لا تَحُلُّ ولا تربطُ ولا تَعْقِدُ أمراً ذا شأنٍ، وإنْ كانَ هذا النِّظامُ قد وقَّعَ لكَ عهداً فَعُهُودُهُ أوهـــــنُ من خيوط العنكبـــوت، وأوهى من عهـــــود اليهـــــــود

ينكثونَها كلَّ مرَّةٍ، وإذا كان النِّظامُ قد وَعَدَكَ بأنَّك سترأسُ حكومةَ معارضةٍ وطنيَّةٍ فأنتَ ساذجٌ، وهذا يعني لنا ثلاثةَ أمور معاً :

أوَّلُها: على صعيد المقهورين من الشَّعب السوريِّ، أنَّك نسيتَ كلَّ دماءِ السُّوريِّين التي سَفَكَها أركانُ النِّظام، وأعلنْتَ عن مصالحتِهِ، وسامحتَهُ على ما انتهكَ من أعراض السُّوريَّات، وما قتلَ من أطفالهم، من دون القصاص منه، ناهيكَ عن مسامحتكَ لبشار الأسد على تهمة الخيانة العظمى للدَّولة، إذْ لمْ يشهد العالَمُ كلُّه رئيساً فَعَلَ ببلاده مثل الذي فعلَهُ هذا المجرم.

ثانيها: على صعيد نظام الأسدِ الهالكِ، فأنتَ لمْ تُجْهِدْ نفسَكَ في السُّؤال عن السَّبب الذي دفعَ النِّظامَ ليطرحَ عليكَ هذه المبادرةَ، ويجب أن تعلمَ أنَّ هذا النِّظامَ بكلِّ أركانه ما طرحَ عليك مثل مبادرة (كفى)لا لأنَّه أدركَ أنَّه وصلَ إلى الطَّريق المسدود في مواجهةِ هذه الثَّورة التي تمتدُّ وتمتدُّ حتى صارَ بشَّار الأسدُ الهالكُ جرذاً محصوراً في مربعه الأمنيِّ وفي بيوت بعض المدنيِّين منَ الخونة المحيطين بقصره، ومبادرةُ (كفى) هي عندنا مثل مبادرة (سَوَا) في جهنَّمَ وبئسَ المصير، لا فرقَ.

ثالثها: أمَّا على صعيد الثُّوَّار فإنَّ الثُّوَّارَ الذين سَلَفُوا الأخشابَ في أواني الطَّبخ وشربوا ماءَها حساءً حين لم يجدوا طعاماً في مواقع الرِّباط على أرض الجهاد قد خرجوا ودماؤهم على أكفِّهم ثأراً للحقِّ، للمسجد المهدومِ والعِرْضِ المُنْتَهَكِ والطِّفل الشَّهيد، وقد خرجوا بعزيمةٍ من حديدٍ جعلَتْ حزبَ اللات يشعرُ بالورطة وينغمسُ في خلافاتٍ مع أركان النِّظام وجيشِهِ في هذه الحرب التي طالَتْ عليهم، ولذلكَ أقول لك يا شيخ معاذ كما قلْتُ في الأعداد الأُولى من مجلَّتنا صدى الحريَّة في مقالي (ولاؤنا لمعارضة الدَّاخل) هي وَحْدَها مَحَلُّ ثِقَتِنَا، أمَّا أنتم يا معارضةَ الخارجِ فَدَعْكُمْ في خلافاتكم التي لم تَنْتِهِ ولن تنتهيَ، ودَعْكُمْ في مبادراتكم الميِّتة وفضائح خلافاتكم المبثوثة في وسائل الإعلام والمحافل الدَّوليَّة، فقد أضحكتمُ الدُّنيا بتصرفاتكم الصِّبيانيَّة ونزاعاتكم التَّافهة في حين تنعي الثَّورة كلَّ دقيقةٍ شهيداً جديداً دَمُهُ في رقبتكم وفي رقبة نظام بشار الأسد.

إنَّ الثَّورة السُّوريَّة ماضيةٌ في طريقِها، وأقولُ للجميع إنَّ بشار الأسد الخائن لن يتخلَّى عن السُّلطة إلا أنْ يموتَ مقتولاً أو منتحِراً، وما أظنُّه حينَ تحيقُ به ساعةُ الصِّفرِ إلَّا من المُنْتَحِرين مثل خنزيرٍ كافرٍ.

في النِّهاية أقولُ إنَّنا نحنُ الثوَّار في حاجة إلى مبادرة (كفى) لكنْ ليس مثلَ مبادرتكَ يا شيخ معاذ، هذه المبادرةُ سنقدِّمُها إلى ثوَّار دمشق لنقول لهم" :كفى انتظاراً "..يجب أن تعود معركة دمشق الحاسمة التي أعلنها الثوَّار سنة 2012م، إنَّنا نريدُ عملاً عسكريّاً احترافيّاً مثلَ ذلك الذي قام به (لواء الإسلام) التَّابع للجيش السوريِّ الحرِّ يومَ الأربعاء الثَّامن عشر من تموز سنة 2012م (في عمليةِ تفجير مبنى الأمن القومي) في حي الرَّوضة بوسط العاصمة دمشق، التي أدَّتْ إلى مقتل كبارِ أركان النِّظام وقادتِهِ الذين كانوا مجتمعين في المبنى، والذي كان نتيجةَ تنظيمٍ وتخطيطٍ وتكاتفٍ بين كثيرٍ من الأحرار الشُّرفاء الذين أخلصوا العملَ لله وحده، فمنهم الذي راقبَ المبنى ومنطقته، ومنهم الذين أعدُّوا الخطَّة، ومنهم الذين اخترقوا عناصر المبنى الأمنيِّين واشتروا ذِمَمَهُمُ الفاسدة بالمال، إنَّنا نريدُ رجالاً مثل أولئك الذين نفذُّوا تلك العملية الجريئة بطريقة احترافيَّة رائعةٍ، وليعلمْ جميع الثوَّار أنَّ معركةً واحدةً داخلَ مدينة دمشق تهزُّ أركانَ النِّظام خيرٌ من عشرين معركة خارجها بعيداً عنه، لأنَّ رأس الأفعى في دمشق، والأنظمة لا تسقط إلا في عاصمة الدَّولة، ولذلك سميِّتْ العاصمةُ عاصمةً .أقولُ لكم إخوةَ الجهاد" :كفى انتظاراً "..فقد آنَ أوانُ معركة دمشق التي نسألُ الله أن نقطفَ فيها رأسَ الأسدِ الخائنِ أو يَنْحَرَ نفسَهُ، آمين اللهمَّ آمين .

المعركة الفاصلة في دمشق

نبيل شبيب

منذ شاعت الدعوات إلى ما سمي ,,ساعة الصفر'' لم ينقطع الحديث عن اعتبار المعركة الفاصلة في مسار الثورة الشعبية في سورية هي معركة دمشق، وهذا أمر بدهي، فالهدف الأول للثورة: إسقاط النظام، يتحقق عندما يتم إسقاطه في أوكار صناعة القرارات العسكرية والقمعية والسياسية في العاصمة. ومع انطلاق ما سمي مؤخراً بحملة صواريخ أجناد الشام، تجدد الحديث عن ,,المعركة الفاصلة'' رغم إدراك الجميع، أن هذه الحملة لم تكن تستهدف فتح أبوابها أصلاً، بل ربما تعددت الأسباب ما بين تخفيف الضغوط على غوطة دمشق، واستعراض القدرة على الوصول إلى المواقع الحصينة المركزية لبقايا النظام، وإذكاء روح الثورة داخل دمشق بعد محاولة بقايا النظام نشر الانطباع بأن الثورة ,,انتهت'' مع إلغاء العديد من الحواجز للتدليل على ذلك. . . . لا يمكن لمن هو خارج الميدان أن يحدد بدقة ما يتحقق أو لا يتحقق من الأهداف في هذه المواجهة أو سواها، ولا يمكنه أيضاً أن يحدد ,,الوسائل'' الأجدى بالاتباع، إنما يمكن التأكيد أن المعركة الفاصلة في مسار الثورة تحتاج إلى عدد من الشروط الأساسية لتحقق غايتها بأقل قدر ممكن من الخسائر والتضحيات. ومن هذه الشروط: ميدان المعركة هو مواقع بقايا النظام في دمشق، إنما لا ينبغي أن تعطى فرصة التعامل ,,على انفراد'' مع هذه الجبهة، أي لا ينبغي خوض معركة منفردة، بل لا بد من تحركات ثورية مواكبة شاملة لأنحاء البلاد، ولا يتحقق ذلك دون تنسيق وتخطيط مشترك. لا تجري معركة فاصلة على ,,مراحل'' فمجموع مسار الثورة هو ,,تلك المراحل''، وليست هي معركة كر وفر، بل يجب أن تكون فاصلة بمعنى الكلمة، فلا تترك لبقايا النظام إمكانية استعادة زمام المبادرة واسترجاع مواقع فقدتها أو تجديد قوة انهارت لديها، وهذا ما يؤكد أهمية التخطيط لاستهداف كافة مصادر ما تستخدمه بقايا النظام من قوة همجية دفعة واحدة، والإعداد لذلك إعداداً دقيقاً. معركة الحسم ليست ,,حرب مواقع''، بل يعتبر العنصر الزمني من أهم عناصرها، فأي تحرك بقصد الحسم يعني تحديد ساعة ,,النصر'' وليس ,,ساعة الصفر'' فقط، وهو ما يعني مشاركة جميع القوى الثورية ,,معاً''، مشاركة تشمل ,,جميع'' ما تستطيع استخدامه للحسم في وقت واحد. ومعركة دمشق الفاصلة الحاسمة والنهائية، لا تجري في مواقع جبلية أو ريفية بل في قلب الكتلة السكانية، ولا يمكن أن تجري مواجهات عسكرية فاصلة وسط كتلة سكانية دون الاعتماد عليها، فهي في تلك اللحظة ,,حاضنة ثورية'' وليست ,,حاضنة شعبية'' فقط، وليس هذا ولا ذاك شارعاً باتجاه واحد، فتأمين احتياجات الحاضنة مندمج في تأمين الاحتياجات الميدانية في المواجهة، وهذا مكمن القوة الحقيقية، ويتطلب التخطيط والإعداد والتنظيم وشبكة تواصل آمنة وضمان التموين العسكري والمدني، مع مراعاة استمرار ذلك طوال الفترة الزمنية –التي يجب أن تكون وجيزة– لمجرى المعركة الفاصلة نفسها. . . . ما سبق وأمثاله كلام عام، أي يمكن طرحه كأفكار ووجهات نظر، ويمكن تبادل الحديث العلني عنه نقداً واستكمالاً، ولكن لا ينبغي بحال من الأحوال أن ينتقل شيء مما يجري إقراره وإعداده بالفعل –أي ما يوصف باللغة العسكرية بالخطوات ,,العملياتية''– من دائرة ضيقة في حدود الضرورة القصوى إلى العلن، كما لو أنه مجرد دردشة في عالم افتراضي، ومثل هذه الدردشة التي انتشرت كثيراً، هو ما كان يوصف فيما مضى بأنه ,,كلام جرايد'' وضرره ضرر بالغ ولا يحقق أي فائدة على الإطلاق.

نبأ

وقفَ فجأةً.. أطالَ النَّظرَ إلى التُّراب. انحنى نحوه، والتقط حفنةً صغيرةً منه.
تأمَّلها واشتمَّها بحنانٍ، ثمَّ عاودَ الانحناءَ إلى الأرض ليُعيدَها إلى موضعها بهدوءٍ كأنّه يُعيد رضيعاً إلى حِجْرِ أمِّه.
رأى الدَّهشةَ قد غَشِيَتْ وَجْهِي فبادرني بابتسامةٍ لطيفةٍ، ثمَّ أشار إلى التُّراب
والْتَفَتَ إليَّ هامساً في أذني:
"أمسيْتُ قربَ الحقّ فاسمعْ صوتَه".
نظرت إلى التُّراب فأدركْتُ بعضَ السّرِّ، التَفَتُّ نحو صاحبي فلم أجدْه
ناديتُه فلم يُجِبْنِي غيرُ صدى صوته،
ومنذ ذلك اليوم أبحثُ عن نفسي بين ذرَّات التُّراب أتلو كلَّ آياتِ الشَّوق إليه.
.. رحمك الله يا صاحبي (نعمان).

نصرالله والمتاجرة الخاسرة بغزة

اختفى عن الظهور نحو ثمانية عشر يوماً منذ بدء العدوان الإسرائيلي المتواصل على غزة، ثم خرج دون أن يخرج زعيم ميليشيا حزب الله حسن نصرالله في يوم القدس العالمي – الذي تقيمه ايران في آخر رمضان من كل سنة – ليعدد بمآثر المقاومة التي أبداها حزبه في حرب تموز عام 2006، حتى ادعى أن رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود أولمرت اتصل بالأمريكان في الأيام الأخيرة من حرب تموز، مطالباً إياهم بالتدخل وفرض الهدنة قبل أن تنمسح إسرائيل من الوجود !!. رغم أن نصرالله في العدوان الاسرائيلي غزة عام 2009 انتهز هذه الفرصة في اليوم التالي مباشرةً، ليدعي وقوفه الكلامي إلى جانب المقاومة الفلسطينية. وفي اليوم الرابع عشر للعدوان الإسرائيلي على غزة اتصل حسن نصر الله برئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل والأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي عبد الله شلح، مبدياً دعمه للمقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان الصهيوني، دعماً لفظياً جاء بعد تحقيق المقاومة المحاصرة في انتصارات ووقوع أسير إسرائيلي في يد حماس، إضافةً إلى تكبيد الأخيرة لإسرائيل خسائر كبيرة في العتاد والأرواح على تخوم القطاع. لم يأمر نصر الله الميليشيا التابعة له بإطلاق صواريخ مابعد بعد حيفا رداً على مجزرة الشجاعية وغيرها من المجازر التي تتكرر يومياً في غزة هاشم، ربما لو فعل لكان صاروخ واحد – إن وُجد – خيراً من مئة خطبة عصماء يلقيها نصرالله من سردابه على أناس أُتي بهم إلى الضاحية كي يشاهدوه عبر الشاشة الكبيرة، لا بل إن ميليشيا حزب الله ما زالت تمنع أي فصيل مقاوم فلسطيني من إطلاق الصواريخ. تكلم كثيراً نصرالله محاولاً تبيض الصفحة السوداء للنظام وإيران، ولم يذكر اسم حركة حماس التي يدير جناحها العسكري الحرب في غزة إلا ثلاث مرات، كنوع من الانزعاج لوقوف حركة حماس مع ثورة الشعب المظلوم في سوريا، بينما اختار حزب الله الوقوف مع القاتل، وكان لافتاً عدم وجود ممثل لحماس من حضور الخطبة العصماء، حيث لم يرسل حزب الله " المقاوم " بطاقة دعوة لحماس رغم وجود ممثلين لها في لبنان، وكانوا في السابق لا يغيبون عن هكذا مناسبات. نصر الله تشدق بدعم المقاومة في فلسطين والوقوف معها، غير أن ممثل حركة حماس في لبنان أسامة حمدان نفى أن يكونوا قد تلقوا أي دعم من حزب الله، موضحاً أن أول اتصال من إيران في اليوم العاشر من العدوان، تلاه وبعد يومين اتصال من حزب الله. وكان هدف الاتصالين معرفة الموقف القائم، ولم تعرض إيران أو حزب الله أي مساعدةٍ على حماس. في السابق كان نصرالله لا يفوت خطاباً من هذا النوع إلا وهاجم نظام حسني مبارك، إلا أنه هذه المرة لم يأت على ذكر مصر أبداً رغم علاقتها المباشرة بما يحدث في غزة، رغم الحصار الظالم الذي يفرضه نظام السيسي على غزة. ميليشيا حزب الله عندما كانت في أوج قوتها لم تكن لتؤازر غزة بشكل مباشر، وكانت تكتفي بالصواريخ الكلامية، وربما بعض الدعم اللوجستي، فكيف بها الآن وقد تلطخت أياديها بدماء السوريين، وغرقت في الوحل السوري، حيث تزف الثورة السورية كل يوم تقريباً خبر مقتل عناصر الميليشيا في سوريا، وخصوصاً في منطقة القلمون، التي اصطُلح على تسميتها بمقبرة حالش.

سيّاف قدسيا .. أبو محمود

يُعلمهم القائد بدنو المعركة ويقول لهم هذه معركتنا ولا يوجد سوانا في تلك النقاط، يبدأ المجاهدون بحزم أمتعتهم وتجهيز سلاحهم ليمضوا إلى موقع المعركة مع بزوغ الفجر ليأخذ كل عنصر منهم موقعه، أبو محمود من الشبان الذين شاركوا معهم في هذه المعركة، وقبل بدايتها بقليل كان قد أجرى اتصالاً مع والدته كان هو الأخير ليطمئنها ويطلب منها الدعاء ثم يردف لها قائلاً: (كلها موتة يا أمي وخليها في سبيل الله).

تبدأ المعركة والسيّاف يقاتل بشراسة وهو على يقينٍ بأنه جهاد نصرٌ أو استشهاد، تتأجّج المعركة ويغلي نارها ويحمى وطيسها والمجاهدون باقون بمواقعهم لم يفعلوا ما فعله غيرهم من انسحاب أو هروب، على خط الاشتباك الأول ترى أبا محمودٍ يرمي بناره على العدو ليقتل منهم من قتل، فإذا برصاصةٍ غادرةٍ تدخلُ جسدَ السيّاف تجعله في عداد الشهداء على الفور، هذه الرصاصة الصدِئة قد أنهت حياته ربما، لكنها لم تُنهِ ذكره في قلوبنا ولن تُنهيه.

أبو محمود (سيّاف قدسيا) هذا الشابُّ الذي لم يطق ظلم النظام ومجازره فانشقّ عنهم في أول مجزرةٍ بحقِّ إخوته وأبناء جلدته في قدسيا في الشهر السادس سنة 2012 فهبَّ لحمل سلاحه لكي يحمي أرضه وعرضه ودينه أولاً، وقاتل في معركة الاقتحام في الشهر العاشر، وشارك بضرب مستودعات مهين الضخمة وشارك بجميع معارك الوادي والقلمون وكان قد استلم الأمور المالية لكتيبته في الشهور الأخيرة من حياته، جُرح في المعارك مرتين وتم نقله وعلاجه في الأراضي اللبنانية، لكن سرعان ما عاد الى رباطه في سبيل الله وهو على درايةٍ بأن النصر سيأتي وإن طال الظلم وكثرت المجازر، اثنان وعشرين عاماً أمضاها في حياته روت لنا بطولة شابٍ أبى أن يدنس أرضه ظلم الطغاة والكفرة، وظلّ سيفه مسلولاً في سبيل الله إلى أن تقبله الله في الشهر الثالث من هذا العام، أبو محمود لن ننساك والثأر لك لن يطول، سطرت بدمائك الطاهرة الزكية أروع الملاحم والبطولات على نهجك ماضون ولذكرك حافظون، رحمك ربي وجعلك في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن تنساكم حتى نلتقي بكم .